العرب
الثلاثاء 2019/08/13
السنة 42 العدد 11435

لم أجلب ماء من بئر ولم أوقد نارا في غابة!

الشاعر المغربي عبد الرحيم خصار: الحب لوعة سرية والشعر صوت العاشق

الشاعر حالم أثناء الكتابة وقبلها وبعدها

خلود الفلاح
كاتبة ليبية

يعتبر الشاعر عبدالرحيم الخصار من أهم التجارب الشعرية المعاصرة في المغرب الأقصى، شاعر تمكن من نحت مسار مغاير له؛ مشتغلا باستمرار على صوته الخاص، مشطبا ومجربا، مغيّرا ومنوعا في فضاءاته الشعرية على اختلاف عوالمها ومداراتها. "العرب" كان لها هذا الحوار مع الشاعر حول ملامح تجربته ورؤيته الخاصة للشعر والشاعر.

يرى الشاعر المغربي عبدالرحيم الخصار أن "الكتابة متعة كبيرة، متعة سرية في الغالب. ما يؤلمه عادة هو غيابها، أي تلك اللحظات التي يحسّ فيها أنه يرغب في الكتابة، لكنه يحسّ في الآن ذاته أنه لن يكتب ما يريد، أو ما يدنو من تخوم الرضا.

ينطلق الخصار في مشروعه الشعري الذي أسسه عبر خمس مجموعات شعرية، من الإنسان، ويقول الشاعر "أعتقد أن جوهر الكتابة هو الاعتبارات الإنسانية. النصوص الأدبية الأكثر تأثيرا، والأكثر ديمومة، هي النصوص التي كانت بمثابة شرارات خلّفها احتكاك الإنسان مع وجوده. ويمكننا العودة إلى كتب وأعمال هائلة كان الإنسان بأحلامه وآلامه، بإشراقاته وخيباته، جوهرَها. تغريني الكتابة عن الأم، عن الحبيبة، عن الصديق، عن الطفل، عن الشيخ، عن الهمّ الداخلي، سواء الفردي أو المشترك. وفي هذا السياق سأقول لك إن هدفي من الكتابة هو الاستمرار في الكتابة".

مشاهدات شاعر

يقول صاحب كتاب "خريف فرجينيا"، إنه يقضي وقتا طويلا في البحث عن عنوان مناسب لأي كتاب جديد. ويجد صعوبة بالغة في العثور على العنوان الذي يرضي رغبته ويتلاءم مع روح العمل. يتفادى العناوين المبالغ فيها، أو المثقلة بالبلاغة، ويضيف "أبحث في الغالب عن عنوان بسيط يشبهني ويشبه أسلوب عيشي وطريقة تفكيري، لكني مولع بتلك البساطة التي تتدفق منها المعاني، ولا البساطة الفارغة. آخر كتاب لي يوجد الآن لدى الناشر، على أساس أن يصدر تزامنا مع الموسم الثقافي، وضعت له عنوانا بعد أشهر من البحث والحيرة، لكني قد أتصل به في أيّ لحظة لتغيير العنوان".

ديوانه "عودة آدم" عبارة عن نص شعري طويل. يجعل القارئ يشعر بأنه يقرأ سيرة ذاتية لآدم السابق، الحالي واللاحق. سيرة تمّحي فيها الحدود بين الأزمنة والأمكنة. هذا التداخل بين سيرة عبدالرحيم الخصار والسيرة المفترضة لآدم. هنا نسأله عن مدى تمكنه من قول ما يريده كشاعر معاصر، فيقول "هذه الملاحظة الذكية منك تجعلني أقول أيضا إن آدم في النص هو مجرد قناع، وإن الحاضر الطاغي هو الشاعر بما يحمله من تاريخ ومن امتداد في الراهن، لكنه يستعيد آدم الذي رأى ما لم يره الشاعر، ليحكي لنا مشاهداته منذ أن دبّ على الأرض، وليعقد مقارنات بين زمنه والزمن الحالي الذي بعث فيه من جديد. عدد من أصدقائي بعد اطلاعهم على 'عودة آدم' منشورا تمنوا لو أني أطلت، وأسهبت في توظيف آدم ليقول أكثر مما قال. لكن الشاعر مهما أطال مختصر. إنه يشير ويومئ إلى أمكنة كثيرة، وعلى القارئ أن يبذل جهده للوصول إليها".

في "عودة آدم" إذن يحاول الشاعر كتابة سيرته. وحول لماذا يفضل الكتاب العرب كتابة سيرهم من خلال أعمالهم الإبداعية فقط؟ يوضح الخصار "إنها سيرتنا جميعا، سيرة من يواجه أهوال العالم منذ بدايته إلى نهايته، دون سلاح ومن دون معجزة. آدم هو ذلك السؤال الوجودي والأبدي الذي سيظل يطنّ في الجمجمة البشرية إلى نهاية الخليقة. لكن الأمر هنا لا يتعلق بسيرتي على الإطلاق، لقد وزعتُ حياتي على نصوص متفرقة منذ 'أخيرا وصل الشتاء' الذي صدر قبل خمسة عشر عاما إلى 'دموع العائلة' الذي سيصدر قريبا. أما 'عودة آدم' فقد كان بمثابة عرض لسيرتنا جميعا، السيرة الوجودية".

التجريب ليس هروبا

عن مدى تفكيره في القارئ أثناء الكتابة يوضح الخصار "في الحقيقة، لا أعرف كيف أجيب عن هذا السؤال. أكتب وفي ذهني كائنات ستقرأ النص، صحيح. لكنها لا تحضر أثناء الكتابة بالضرورة. أكتب لكائنات تشبهني، أو أتوسم فيها أنها ستفهمني وستتفاعل مع كتابتي بحب. معظم النصوص التي كتبتها تخاطب، في الأصل، كائنا واحدا، قد يتغير من نص إلى آخر، وقد يحضر في أكثر من نص، لكن بعد الكتابة أحب أن أتقاسم هذه الرسالة الشعرية مع أصدقاء ومحبين أعرف أنهم يتابعون ما أكتب بحنوّهم وبكرم مشاعرهم على الدوام. ومع عملية النشر والترجمة لا يستطيع المرء أن يعرف بعد ذلك من يقرأ كلماته وفي أي مكان، وتحت أي تأثير".

لم أَجلب مَاء من بئر/ ولم أُوقد نارا فِي غَابَة/ فقطْ جَثَوتُ/ أمامَ مدفأة مُعَطّلة/ ورَجَوتُ الثُلوجَ أَنْ تَتَأَخّرَ قَليلا.

هذا النص هو انعكاس للصراع اليومي في زمننا المعاصر. هل يحتمل الشعر هذه الأسئلة الفلسفية؟ هنا يرد صاحب كتاب "بيت بعيد"، قائلا "الشاعر حالم بالضرورة، حالم أثناء الكتابة وقبلها وبعدها. وحين يتوقف عن الحلم سيتوقف عن كونه شاعرا. هكذا أنظر إلى الكتابة. إنها نظرتي الخاصة، وهي لا تلزم بالضرورة أحدا. لكنّ الحلم هنا ليس معناه الانفصال عن الواقع، بل هي تلك الرغبة الدائمة في تجسير المسافة بينهما، شعراء جنّوا أو انتحروا أو انعزلوا عن العالم، لأن المسافة بين حلمهم وواقعهم كانت شاسعة جدا، وقد عجزوا عن تقريب هذين العنصرين المتنافرين إلى بعضهما. ما يحمله المقطع الشعري هنا من دلالات مبعثه هو ذلك الإحساس بأن العالم يتجمد بالتدريج، وأن ما يملكه الشاعر حيال ذلك هو الرجاء، الرجاء فحسب".

في نص آخر يقول الخصار:

بعد عشر سنوات من النسيان/ لم يتغير شيء/ أنت صرت زوجة في قفص/ وأنا صرت كهلا بلا جدوى/ ما زلت كعادتي أشرب الشاي/ وأكتب قصائد عن الحب/ وعن رغبتي في أن يتغير طلاء الحجرة/ لقد دسست أزهارا كثيرة بين الكتب والأوراق/ أعرف أنها لن تنمو/ لكنها على الأقل ستطرد اليأس من قصائدي.

> الشاعر مهما أطال مختصر، فهو يشير إلى أمكنة كثيرة، وعلى القارئ أن يبذل جهده للوصول إليها

نصه الشعري يميل نحو السرد، ولكنه سرد يتخفف من المجاز اللغوي والتراكيب والصور التي تعيق انسياب جمالية النص. نسأله هنا إن كان يؤمن بالتجريب في الكتابة والحياة؟ ليرد صاحب كتاب "نيران صديقة" موضحا "أومن بالتجريب حين يكون مسألة فردية، لا عملا جماعيا له منطلقات تنظيرية. ما هو الحب؟ إنه تلك اللوعة السرية التي لا يحس بها إلا العاشق وحده. وكذلك الكتابة ينبغي أن تكون اجتهادا فرديا، وأن تبقى خلطتها العجيبة سرية على الدوام. لذلك لا أفهم لماذا يشرع بعض الكتّاب في تفسير طرائق كتاباتهم. الشاعر الحيّ هو شاعر مجرّب باستمرار، لكن التجريب لا يعني الهروب عن الشعر والابتعاد عنه بدافع الرغبة في المغايرة والاختلاف. ينبغي أن يكون التجريب عودة دائمة إلى الشعر، لكن من مصادر مختلفة".

الترجمة كتمرين للمتعة والاكتشاف

حسونة المصباحي
كاتب تونسي

في البداية أشير إلى أني تعرفت بفضل الترجمة على آداب العالم القديمة والحديثة، واكتشفت شعراء وروائيين وفلاسفة تعلمت منهم الكثير، وأضاؤوا لي طريق المعرفة. لذا سأظل مدينا لهم طوال حياتي. وحتى هذه الساعة لا أزال أعيد قراءة رواية "الصخب والعنف" للأميركي ويليام فوكنر التي قام بنقلها إلى اللغة العربية الراحل جبرا إبراهيم جبرا.

وأظن أن هذه الرواية جعلت الكثيرين من كتاب القصة والرواية في العالم العربي يكتشفون تقنيات مذهلة في فنّ السّرد، لم تكن مألوفة لديهم من قبل. كما لا أزال أعيد قراءة رواية "طريق التبغ" لأرسكين كالدويل التي قام بنقلها إلى لغة الضاد منير بعلبكي؛ هذه الرواية، وأيضا رواية "عناقيد الغضب" لجون شتاينبك، لفتتا نظري إلى عالم الريف الذي كنت أعتقد حتى ذلك الحين أنه عالم فارغ ومملّ بحيث تكون الكتابة عنه غير مجدية، وغير مفيدة. وتحت تأثير الروايتين المذكورتين كتبت مجموعتي القصصية الأولى "حكاية جنون ابنة عمي هنية"، التي تدور أحداث القصص التي تضمنتها في ريف القيروان بالوسط التونسي. ولا يمكن أن أنسى المتعة التي قرأت بها "صورة دوريان غراي" لأوسكار وايلد، التي نقلها إلى العربية الدكتور لويس عوض، و"دون كيخوتي" لسارفانتس التي أثرى بها الدكتور عبدالرحمن بدوي المكتبة العربية، و"موبي ديك" لملفيل التي أتحف بها الدكتور حسان عباس القراء العرب.

وبفضل السوري سامي الدروبي، قرأت أعمال دستويفسكي، وتولستوي، ورائعة إيفو أندريتش "على جسر نهر درينا" التي يروي فيها فصولا من تاريخ بلاد البلقان خلال فترة الهيمنة العثمانية. ووفرت لي دار "التقدم" بموسكو فرصة اكتشاف مبدعين روس كبار أمثال تشيكوف، وغوغول، وغوركي. وبواسطة اللغة الفرنسية، قرأت الأدب الياباني متمثلا بالخصوص في كل من تانيزاكي، وكواباتا، وميشيما. وبنفس هذه اللغة قرأت أعمال النرويجي كنوت هامسون، والسويدي أوغست ستاندبارغ، والبولوني فيتولد غمبروفيتش، والألباني إسماعيل كاداريه، والإيطالي إيطالو سفيفو صاحب رائعة "وعي زينو"، والذي كان صديقا لجيمس جويس عندما كان هذا الأخير مقيما في مدينة ترياست على الحدود مع النمسا.

ومنذ بداية مسيرتي الأدبية، أدركت أن الترجمة توفر لنا متعة اكتشاف ثقافة الآخر، وتتيح لنا المقاربة بين اللغات، وجعلها تتلاقح ووتعانق، وتنافس كل وحدة منها الأخرى لتسمية الأشياء والعالم. ثم إن الترجمة عمليّة إبداعية بالمعنى الحقيقي للكلمة.

وبناء على هذا، أنجز شارل بودلير ترجمة رائعة لقصص الأميركي إدغار آلن بو. وفعل الفرنسي الآخر إيف بونفوا الشيء ذاته مع روائع شكسبير. وكان باول تسيلان، الروماني الأصل، الألماني اللغة، يجد متعة في نقل أعمال كبار الشعراء الفرنسيين إلى لغة غوته. وتمكن الشاعر والكاتب الفرنسي فاليري لاربو من إنجاز ترجمة بديعة لرواية جويس الشهيرة "أوليسيس".

وقد بدأت علاقتي بالترجمة في مطلع الثمانينات من القرن الماضي. فقد نقلت إلى العربية مجموعة من قصائد الهايكو اليابانية. وفي نفس الفترة، ترجمت قصصا لكتاب عالميين أمثال يشار كمال، وغابرييل غارسيا ماركيز، ومارغريت يورسنار، وإسماعيل كاداريه. كما ترجمت نصوصا فكرية وفلسفية لميشال فوكو، ورولان بارت، وكلود ليفي ستراوس، وأكتافيو باث، وجيل دولوز، وخورخي لويس بورخيس وآخرين. وقد صدرت تلك النصوص في بغداد أواخر الثمانينات من القرن الماضي بعنوان "متاهات". إلّا أن الترجمة التي وفرت لي المتعة الحقيقية هي تلك التي قمت بها حين نقلت إلى اللغة العربية كتاب إلياس كانيتي "أصوات مراكش". وقد صدر الكتاب عن دار "توبقال " المغربية ليفتح نافذة على أعمال واحد من أعظم المبدعين في القرن العشرين.

> الترجمة توفر لنا متعة اكتشاف ثقافة الآخر، وتتيح لنا المقاربة بين اللغات، وجعلها تتلاقح وتتعانق، وتتنافس في ما بينها

وفي الثمانينات من القرن الماضي، اهتممت بصاموئيل بيكت، وقرأت جلّ أعماله الروائية والمسرحية. وقد استوقفني كثيرا كتابه "نصوص إلى اللاشيء" الذي كتبه بالفرنسية، مظهرا فيه قدرة على اللعب بالكلمات كما لو أنه يرغب في أن يثبت للفرنسيين أنه قد يفلح في منافستهم في الإتيان بالعجيب والغريب في لغتهم الأم.

وعازما على أن أتعرف على المدى الذي يمكن أن تبلغه اللغة العربية عندما أنقل إليها نصوص بيكت العسيرة والغامضة، شرعت في ترجمتها بحذر شديد. وحالما انتهيت من ذلك، انتابني إحساس بأن الترجمة لم تكن موفقة. لذا تركتها ولم أعد إليها إلّا بعد قرابة السبعة أعوام. وكان عليّ أن أعيد الترجمة من البداية إلى النهاية لكي أحصل على ما بدا لي مرضيا. لذا لم تتردد الدار العربية للكتاب في نشر الكتاب.

وكان جيمس جويس الذي عاش الشطر الأكبر من حياته متنقلا بين المنافي، واحدا من بين الكتاب الذين تعلمت منهم الكثير. وقد قرأت بسهولة مجموعته القصصية "أناس من دبلن"، وروايته "صورة الفنان في شبابه". وأما "أوليسيس" فقد عسرت عليّ قراءتها. لذا تخليت عن قراءتها في أكثر من مرة. لكن بعد أن قرأت سيرة جويس التي أعدها ريتشارد إلمان، والصادرة في جزأين عن دار "غاليمار" الفرنسية في ترجمة بديعة، بدأ عالم جويس ينكشف لي، وينزاح عنه الضباب الكثيف الذي كان يغطيه. ومستعينا بتلك السيرة، وأيضا بالتفسير الذي أنجزه فلاديمير نابوكوف، تمكنت من قراءة "أوليسيس"، ومن فهم عوالمها العجائبية، ومن فكّ رموزها الموغلة في الغموض والتعقيد. وازداد عالم جويس وضوحا بالنسبة لي بعد أن قرأت كتابا يحمل عنوان "حوارات مع جيمس جويس"، وفيه يروي الفنان الأيرلندي آثر باور الذي كان يقيم في باريس في العشرينات من القرن الماضي، تفاصيل لقاءاته المتعددة بصاحب "أوليسيس".

وقد عكست تلك اللقاءات آراء جويس في الأدب، وفي الشعر، وفي السياسة، وفي العديد من القضايا الأخرى. لذا سارعت بترجمة هذا الكتاب ليكون عونا للقراء العرب الساعين إلى فهم واكتشاف عالم جيمس جويس. كما أنني نقلت إلى العربية مؤخرا نصه الشهير "جياكومو جويس" الذي كتبه عام 1912، وفيه يتغزل بفتاة إيطالية من مدينة ترياست حيث كان يقيم.